

الوافي في الوفيات

وإذا ما رُمْتُ سَعْيًا خَانَنِي ... عَظْمُ سَاقٍ وَرِبَاطٌ وَوَتَرٌ .
تُرُّ عَاشُ الأَقْدَامُ مِنِّي وَأَنَا ... من صُعُودِي وَحُدُورِي فِي خَطَرٍ .
وَإِذَا اسْتَنْزَجَدْتُ عَزْمِي قَال لِي ... عِنْدَمَا أَدْعُوهُ كَلًّا لَا وَزَرَ .
قال ابن طايفر : أخبرني الشريف أبو البركات العباس بن محمد العباسي الحلبي قال :
كنت ليلةً مع جماعة من أصحابنا بحلب عند رجل من أهلها يعرف باللطيف السراج ومعنا سعيد
الحريري الشاعر الحلبي وكان سعيد هذا يعشق غلاماً للأمير ابن كلج يُسمّى البقش
وكان قد وعده تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَنْ يصير إليه فراح من عندنا فلما كان بعد ساعة وافق
منه إلى اللطيف قطعة يصف فيها ما جرى له معه وذكر أنه صنعها بديهةً : وهي من
البيسط :

قُلْ لِلَّطِيفِ كُفَيْدًا مَا نَحَازِرُهُ ... فِي مَجْدِهِ وَأَمْنًا مَا عَلَايَهُ خَشِي .
وَعَاشَ كُلُّ وَدُودٍ مِنْ صَنَائِعِهِ ... فِي ظِلِّ دَانِيَّةٍ مَمْدُودِ العُرْشِ .
عَلِيُّ يَا ذَا المَعَالِي نُمِتَ عَنْ قَمَرٍ ... نَادِمْتُهُ خِلَاسَةً فِي الغَيْهَبِ
الغَطِشِ .

فِي لَيْلَةٍ جَمَعَتِ شَمْلِي بِهِ غَلَطًا ... فِي مَجْلِسٍ كُنْتُ قَاضِي حُكْمِهِ
الجَرَشِيِّ .

فَلَا وَ تَرَاني وَكأسِ الرَّاحِ فِي يَدِي ال ... يُمْنِي وَيَسْرِي فِي دَبُوقَةِ البَقَاشِ .
لَا كُنْتُ تَعُوجِبُ مِنْ صَفْرَاءَ صَافِيَةٍ ... دَرِيافِهَا جَسْرَ الحَاوِي عَلَي الخَنْشِ .

والراح قد راحه سلطان سورتها ... فمدّ خوفًا إليها كفّ مُرتعش .
وجمّ شتته حُمَيّاها ومال به ... يُكْرُ فِقْدَانُ خَدًّا بالعِذارِ وَشِي .
فأَيُّ مَكْرُمَةٍ لِلرَّاحِ إِذْ جَعَلَتْ ... مَنْ كَانَ مُفْتَرِسِي بِاللِحْظِ مُفْتَرِشِي .
لَكِنْ بُلَايَتُ بَعْضُوٍ نَامَ عَنْ أَرْقِي ... وَكُنْتُ أَعْهَدُهُ كالأَرْقَمِ الرَّقَشِي .
فطلتُ أَعْتَبِيهِ طَوْرًا وَأَعْدَلُهُ ... وَسَمِعْتُهُ قَدِ رَمَاهُ بِالطَّرِشِ .
وَاحْتَوِي بِالرُّقْمِ مَصْرُوعَةً وَأَبَى ... أَنْ يَسْتَفِيقَ مِنَ الإِغْمَاءِ مُنْذُ غُشِي .
والجرشي الذي ذكره رجل من أهل حلب قلت : كذا قال ابن طايفر وأنا أظنّ هذا الشاعر
هو هذا سعيد بن عليّ بن لؤلؤ وإني أعلم .

رشيد الدين الباصروي .

سعيد بن عليّ بن سعيد العلّامة رشيد الدين أبو محمّد البصري الحنفي مدرّس الشليّة .
كان إماماً مفتياً مدرّساً بصيراً بالمذهب جيّد العربيّة متين الديانة شديد الورع
عُرضَ علّايه القضاء أو ذُكر له فامتنع قال شمس الدين ابن أبي الفتح : لم يخلّف
الرشيد سعيد بعده مثله في المذهب وكان خبيراً بالنحو وكتب عنه أبو الخبّاز
البرزالي وتوفيّ سنة أربع وثمانين وست مائة . ومن شعره من الكامل :

إستَجِرْ دَمْعَكَ مَا اسْتَطَاعَتْ مَعِينَا ... فَعَسَاهُ يَمْحُو مَا عَيَّتَ سَنِينَا .
أَنْسَيْتَ أَيَّامَ الْبِكَاةِ وَالْهَوَى ... أَيَّامَ كُنُوتِ لَدَى الضَّلَالِ قَرِينَا .
ومنه من الطويل :

ألا أيّها الساعي علّاي سنن الهوى ... رويدك آملُ النُفوسِ غُرورُ .
أتدري إذا حان الرحيلُ وقُرِّبتْ ... مطايا المَنايا منذُكْ أين تَسيرُ .
أطاعتْ دَوَاعِي اللّهُوِّ فِي سَكْرَةِ الصَّبِيِّ ... أَمَّا لِكَ مِنْ شَيْبِ الْعِذَارِ
نَذِيرُ .

كأنّي بأيّام الحياة قد انقضتْ ... وإن طال هَذَا العُمرُ فهو قَصيرُ .
وفاجتاك مرتاد الحمامِ وَيَا لَهَا ... زيارَةُ مَنْ لَا تَشْتَهِيهِ يَزورُ .
وأصيحتْ مَصْرُوعَ السَّقَامِ مُعَلَّلاً ... يَقُولُونَ دَاءُ قَدْ أَلَمَّ يَسِيرُ .
وهيّهات بلْ خَطْبُ عَظِيمُ وَبَعْدَهُ ... عَظَائِمُ مِنْهَا الرَّاسِيَاتُ تُمورُ .
ولمّا تَيَفَّنَتْ الرَّحِيلَ وَلَمْ يَكُنْ ... لَدَيْكَ عَلّايَ مَا قَدْ أَتَاكَ نَثِيرُ